أ. السيد ابو الحسن علي الحسني الندوي

لكي لا ننسى

بين نظرتين

النظرة القرآنية والنبوية إلى الأمّة الإسلامية ونظرة المسلمين أنفسهم إلى أنفسهم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

[محاضرة ألقاها سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي بقاعة المحاضرات بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة يوم الاثنين ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٤٠٢هـ (٨ من فبراير سنة ١٩٨٢م) عقب صلاة المغرب، ورأس الحفلة وأشرف عليها وعلق على الكلمة معالي الشيخ الدكتور عبدالله بن عبدالله الزائد نائب رئيس الجامعة، وغصت القاعة بالحاضرين والمستمعين من طلبة الجامعة وأهل المدينة، وحضرها عدد وجيه من الأساتذة وعمداء الكليات، وقد نقلت الكلمة من الشريط[1]. ونظر فيها المحاضر وتناولها بشيء من التهذيب والتنقيح، والحذف والزيادة مع الاحتفاظ بطابعها الارتجالي وما أوحى به المحيط والبيئة التي ألقيت فيها وما اكتنفها من الانفعال].

قال المحاضر، بعد ما حمد الله وصلى على رسوله وآله وصحبه وسلم:

وبعد، فحضرة الرئيس الجليل، حضرات الأساتذة الموقرين، وأبنائي الأعزاء، طلبة الجامعة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن موضوع حديثي في هذه الأمسية المباركة في المدينة المنورة المباركة «النظرة القرآنية، والنبوية إلى الأمة الإسلامية، ونظرة المسلمين أنفسهم إلى أنفسهم».

وقد يبدو هذا الموضوع غريباً لكثير من إخواننا، وكأني أقرأ في خطوط جباههم العريضة المشرقة، تساؤلا طبيعياً، أي طرافة في هذا الموضوع ؟ كلنا يعرف النظرة القرآنية إلى هذه الأمة الإسلامية، بل النظرات القرآنية التي جاءت في القرآن الكريم، ومن الذي لا يحفظ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (٢).

ومن الذي لم يسمع، ولم يوفق لتلاوة قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (٣).

ومن الذي لا يعرف قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾(٤).

وكأني أسمع ما يجول في خواطر كثير من المستمعين، يقولون إنه موضوع على الهامش، أو هو من قبيل تحصيل الحاصل.

ولكن إخواني! القرآن كما تعلمون لا تنقضي عجائبه، ولا تبلى جدته، والله إن في القرآن آية، كلما مررت بها وقفت أمامها خاشعاً متهيباً، مستعجباً مشدوهاً، أي حجم تعطي هذه الآية هذه الأمة الإسلامية، وفي أي محيط، وفي أي واقع تأريخي، ولكني لا أبادر بتلاوة هذه الآية – وكلكم تعرفونها وتحفظوها – بل أريد أن أثير فيكم التساؤلات الكثيرة، وأثير فيكم الرغبة والتعطش إلى سماع هذه الآية.

قبل أن أتلو هذه الآية الكريمة وهي في ذاكرتكم وفي معلوماتكم، أريد أن أستعرض الواقع الغريب، الواقع المثير المرير، الذي نزلت فيه هذه الآية.

تصوروا يا إخواني! – وما أحلى الحديث عن المدينة في المدينة – تصوروا عن

حفنة من البشر (وأنا أتعمد هذه الكلمة) نظراً إلى البحر الهائج المائج من النفوس البشرية، والمجموعات الكبيرة، التي كانت تموج في ذلك العصر، حفنة من البشر تؤمن بالحقائق التي جاء بها القرآن الكريم، وجاءت الرسالة المحمدية، فتضيق عليها الأرض بما رحبت وتضيق عليها نفسها، ولا أصدق ولا أدق تصويراً من الله سبحانه وتعالى يقول عن مثل هذا الوضع الغريب: ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ﴾ (٥). هذه صورة المؤمنين المعدودين الذين آمنوا بالله وبرسوله بمكة، ومكة على رحابتها وسعتها، وترحيبها بكل طارق، وبكل نزيل، بحكم البيت العتيق، وبحكم ﴿ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ والذي يقول الله تعالى فيه لنبيه وخليله إبراهيم: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (٦).

مكة ضاقت على هذه الحفنة البشرية المؤمنة حتى اضطرت هذه المجموعة العربية القرشية، المؤمنة المسلمة التي إلتفّتْ حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ووضعت يدها في يده، اضطرت إلى أن تغادر وطنها وتأوي إلى هذه المدينة الطيبة الكريمة المؤوية، دخلت في هذه المدينة، وهي غريبة فيها، رغم وحدات كثيرة من الوحدات الإنسانية، الثقافية والحضارية، والقبلية واللغوية، فأمر الله سبحانه وتعالى بالتآخي بين هؤلاء المؤمنين الغرباء الطرداء، المساكين البؤساء، الذين جاءوا من مكة. وبين من آمن من أهل المدينة الكرماء، وهم قلة كذلك، أمر بالتآخي بينهم وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾(٧). هذه خلية بشرية من نوع فريد، تقوم على أساس الوحدة العقائدية وعلى أساس الحب في الله، هذه خلية إنسانية صغيرة في الكم quantity ولكنها كبيرة في الكيف Quality.

ما نسبة هذه البذرة الصغيرة التي ربما لم تكن ترى إلا بالمجهر Microscope ما نسبة هذا العدد القليل الضئيل إلى هذا العدد الوفير الكثير الذي كان يزخر حوله، كانوا

بين فكي الأسد، الإمبراطوريتين العظيمتين اللتين توزعتا العالم المتمدن المعمور، ففي الشمال وفي الغرب الإمبراطورية البيزنطية، وفي الشرق الإمبراطورية الفارسية الإيرانية، ولا أصدق من قول الله تعالى وأدق تصويراً منه في وضع هذه المجموعة البشرية الصغيرة.

﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[٨]. كانوا كقطعة لحم على يد طفل صغير ذهب إلى السوق فحملها على كفه فجاءت حدأة فخطفت هذه القطعة، ولا أصدق من قول سيدنا عبدالله بن مسعود (رض) عن المسلمين بعد ما مضى على تاريخ الإسلام عقود من السنين: «لقد كنا كالغنم في ليلة شاتية مطيرة» إن الله سبحانه وتعالى يقول: لهؤلاء المهاجرين والأنصار ﴿ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ [٩] ثم يقول مقابل ذلك: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ [١٠].

كيف يصدق الإنسان الخاضع لنتائج رياضية ولواقع الحياة، أن يقول الله تبارك وتعالى – وهو الحكيم العليم – لهذه المجموعة الصغيرة التي قد لا ترى إلا «بالمجهر» ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أيها المسلمون! إذا قصرتم في هذا التآخي، إذا قصرتم في تكوين المجتمع الإسلامي، والحياة الإسلامية الصحيحة. وفي تعميق جذور الإيمان في قلوبكم ونفوسكم، وإذا قصرتم في أداء الواجب الإنساني الذي يرتبط به مصير الإنسانية ارتباط الحياة بالشمس، ارتباط الحياة بالهواء والماء، ﴿ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [١١] كانت هنالك إمبراطوريات عظيمة، ومجتمعات بشرية راقية، هنالك ثروة من العلوم والفنون، هنالك أدب وشعر، هنالك قانون وسياسة، هنالك جميع وسائل الرقي والتقدم، ولكن الله سبحانه وتعالى، يقول لهذه المجموعة الصغيرة في هذه البيئة الضيقة، المتأخرة المخنوقة، التي لم يكن لها شأن في العالم، ولم تكن الأمم تحسب لها حساباً، وقد صرح بذلك ملوك فارس، وأباطرة

الروم لرسل المسلمين وقوادهم، فقالوا: والله ما كنا نكترث بكم ولا نرفع بكم رأساً، فماذا تريدون منا؟ إن كنتم تريدون الكسوة نكسوكم، وإن كنتم تريدون التموين نمونكم، ولكن الله سبحانه وتعالى يقول لهؤلاء العرب من فوق سبع سماوات، ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢).

هذا هو الحجم الكبير الذي تعطي هذه الآية لهذه الأمة، بل لنواة هذه الأمة، إنها كانت صغيرة في القامة كبيرة في القيمة، لأن الجمرة لا ينظر إلى حجمها، والى عرضها وطولها، إنما ينظر إلى القوة الكامنة والطبيعة المودعة فيها، والرسالة المنوطة بها، فجمرة واحدة تستطيع أن تحرق مدينة بأسرها، وكذلك البذرة لا تقوم بحجمها، إن مجموعة صغيرة من البذور تستطيع – إذا أرادت مشيئة الله – أن تنبت مزرعة تعيش عليها مدينة كبيرة، والنور كذلك لا ينظر إلى وزنه إنما ينظر إلى رسالته التي أنيطت به، وأسندت إليه، تتناولون «المفتاح الكهربائي» فينطلق التيار الكهربائي، فينير هذه القاعة الكبيرة، بل الجامعة كلها، كذلك الشحنة الإيمانية التي أودعت في هؤلاء المسلمين كانت كفيلة بإنارة العالم كله.

وهي نفس النظرة التي نظر بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الأمة، إن بدراً ليست منا ببعيدة، قاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الكتيبة المسلمة المؤمنة، التي كانت نقطة مغمورة في هذا البحر من الكفر، والطغيان من القوة المادية، وكثرة السلاح، إلى ساحة بدر، استعرضوا الواقع الاستراتيجي، ثلاث مائة وثلاثة عشر (٣١٣) إنساناً، هل يرتبط بهم مصير الإنسانية وسعادتها، ولا يرتبط بهم مستقبل هذا الدين الذي جاء به الرسول الخاتم (ص)، بل مستقبل أديان الأنبياء عليهم السلام كلهم، ومستقبل الرسالات السماوية من عهد سيدنا آدم عليه السلام إلى عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، من يصدق ذلك؟ ولكن الرسول(ص) يعرف قيمة هذه الكتيبة المؤمنة، التي قادها إلى بدر، وقد حشد كل طاقته وكل ذخيرته إلى هذه الساحة التي كانت تقرر مصير الإنسانية، ثم قام يدعو ربه، ويبتهل إليه، ويخر ساجداً

ويقول: «اللهم أن تهلك هذه العصابة لن تُعبد» كلمة ما وجدت نظيرها – في الثقة والاعتماد – في تاريخ الديانات السماوية، وفي تاريخ القيادات البشرية، وفي تاريخ التحركات العسكرية التي غيرت مجرى التاريخ ، قالها الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو أعرف البشر بالله تعالى وصفاته، وأخشاهم لله، كما قال: «أنا أخشاكم لله»، والله ما يستطيع غير الرسول أن يقولها، ولا يزال العالم الإسلامي مرتبطاً مديناً لهذا النصر المبين، الذي تحقق في ساحة بدر، ولا يزال يعيش في ظلال هذا الانتصار، يأكل من رفده، وينعم في كنفه، وفي ظله قامت الحكومات وانتشرت الحضارات، وانفجرت العلوم، وتكونت المكتبات.

إخواني! فهذه هي النظرة التي كان ينظر بها أصحاب رسول الله(ص)، والمؤمنون الأولون إلى هذه الأمة، وقد قرأت قصة في التاريخ، لا أزال أتذوقها، ليس الطعام فقط، ولا الشعر فقط، والأدب فقط، هو الذي يُتَذَوّقْ، إن القصص الصحيحة، والوقائع الغريبة التي وقعت تتذوق أكثر مما يتذوق الطعام الشهي، والله لا أزال أمضغ هذه القصة، وأقلبها في فم ذوقي وعلمي، وقف سيدنا سعد بن أبي وقاص على ضفة دجلة، وهم متجهون إلى المدائن عاصمة المملكة الإيرانية، وكان الفرس – خشية من هؤلاء الموحدين الشجعان الأبطال الذين لا يخافون غير الله – قد كسروا الجسور والقناطر، وأبعدوا السفن احتياطاً، لأنهم كانوا يعرفون أن العرب، ليست في جزيرتهم الأنهار، وليست عندهم تجارب السباحة وعبور الأنهار، فإذا جاءوا إلى هذا الشاطئ، فإنهم لابد أن يتوقفوا هناك ويفكروا في التراجع والانسحاب، فلما وصل سعد بن أبي وقاص إلى هذا الشاطئ، نظر إلى سلمان مستوضحاً مستشيراً.

هنالك قال سيدنا سلمان رضي الله عنه تلك الكلمة التي سجلها التاريخ العربي الأمين، قال: «إن الإسلام لجديد ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر»[١٣]، يعني أن هذا الدين إلى الآن، لم يقم بدوره كاملا، ولا تزال عليه مسؤولية السلالة البشرية، ومسؤولية المصير الإنساني فأنا أصدق أن المسلمين الذين قد أنيطت بهم الرسالة، –

وهذه الرسالة إلى الآن لم تستنفد طاقتها، ولم تؤد بعد – يغرقون لأنهم لا يملكون سفناً، إن هذا الدين لجديد، وإن هذه الأمة لفتية دافقة بالحياة، وإن الله سيستخدم هذه النواة الصالحة السليمة لبناء الإنسانية بناءً جديداً، فغير معقول أن يغرق جيش الإنقاذ – لعدم وجود السفن والجسور – هذا ما يتنافى مع حكمة الله تعالى، يترك للنهر يفعل فعله، ولا يتركنا نعمل عملنا؟ ألسنا أحق بالانتصار، والتغلب، وأحق بالنجاح من هذا النهر؟ ما قيمة دجلة؟ نهر يروي به الناس ظمأهم، ويسقون به زروعهم، ولكن الرسالة التي نحملها هي أكثر قيمة، وأنفع للبشرية من الماء الذي يشربون، ومن الهواء الذي به يتنفسون، لا تخف أيها القائد المؤمن، صاحب رسول الله، ومر جيشك يخض فانه سيعبره[١٤] إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات.

وهذه النقطة تسترعي انتباه القادة والزعماء الذين لا يعرفون إلا سياسة الحرب، وهذا الذي قاله عمر ابن عبد العزيز، فقد قال في رسالة وجهها إلى قائد جيشه:

«وآمره أن لا يكون من شيء من عدوه، أشد احتراساً منه لنفسه ومن معه من معاصي الله، فان الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم (إلى أن قال) «ولا تكونوا لعداوة أحد من الناس أحذر لذنوبكم»[١٥].

ولكن ما هي النظرة التي ينظر بها المسلمون أنفسهم إلى أنفسهم، اسمحوا إلى أن اذكر لكم تجربتي الخاصة، لما وفقني الله سبحانه وتعالى لتأليف كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»، استغرب الناس الاسم ومجت اصواتهم وعقولهم كيف يخسر العالم بانحطاط المسلمين، هل المسلمون في مكانة يخسر العالم بانحطاطهم شيئاً ويربح برقيهم شيئاً، والله إنهم أحط مكاناً، وأقل شأناً من هذا، حتى اقترح لي بعض الكتاب، لو أن المؤلف – جزاه الله خيراً – غيّر هذا الاسم لكان أحسن له، هنالك عرفت النظرة الخسيسة التي ينظر بها المسلمون أنفسهم إلى أنفسهم، ومدى مركب النقص الذي ابتلوا به حتى المؤرخون المسلمون، حتى الكتاب الإسلاميون، إنهم اعتادوا أن ينظروا إلى المسلمين من زاوية التاريخ، من زاوية الأحداث، من زاوية الشعوب والأمم، من زاوية

التقلبات، ما كانوا ينظرون إلى العالم والتاريخ من زاوية المسلمين، ما كانوا يعتقدون أبداً، أن المسلمين عامل من عوامل التاريخ، هم يستطيعون أن يتأثروا، ولكن لا يستطيعون أن يؤثروا، وإذا استخدمنا لغة الألعاب الرياضية، – ولو مؤقتاً – قلنا إن المسلمين ليسوا صولجان اللاعب، إنما «هم الكرة المستهدفة» وعندنا مثل في بلادنا يتذوقه إخواننا الباكستانيون، والهنود، إذا أردنا أن نصور إنساناً ضعيفاً، أو مجتمعاً، أو شعباً ضعيفاً، نقول إنه كبطيخة سواءً وقعت عليها السكين، أو وقعت هي على السكين، على كل حال فالخطر على البطيخة، هي تتمزق، وهي تتفتت وتتناثر.

وهذه هي نظرة المسلمين مع الأسف لا تزال سائدة على كثير من الأوساط العربية والإسلامية، ننظر إلى المسلمين كأنهم ما خلقوا إلا ليخضعوا للحوادث، ويتأثروا مما يحدث حولهم، أما أنهم يستطيعون أن يؤثروا على المسيرة الإنسانية، وعلى الاتجاه العالمي، وعلى القيم والمثل، فلا، المسلمون قطيع من قطعان الغنم الكثيرة، تساق بالعصا، ما كانوا يتصورون، وإذا قيل لهم لا يصدقون، أن العالم قد خسر شيئاً بانحطاط المسلمين وتخليهم عن قيادة البشرية، وبتقصيرهم في حق الله، وفي حق الإنسانية، فعرفت أن الخطأ من الكتاب والمؤرخين، لأنهم إنما صوروا المسلمين كشعب من الشعوب الكثيرة المعدودة بالمئات، شعب يعيش تحت رحمة الوقائع والتقلبات ، وتحت رحمة الحكومات والحضارات، والفلسفات والمعسكرات، إنهم ما عرفوا القوة الكامنة في الرسالة الإسلامية التي يحملها المسلمون، حقيقة يجب علينا أن نأخذها بعين الاعتبار، وهي الحقيقة الخالدة المسيطرة على جميع الاعتبارات السياسية والاقتصادية، إن المسلمين أصحاب رسالة، إن المسلمين أصحاب عقيدة، إن المسلمين جند الله، والله يقول: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾ (١٦). ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١٧). ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ (١٨). ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١٩).

بهذه النظرة يجب علينا يا إخواني، يا أبنائي الأعزاء أن ننظر إلى أنفسنا، أنتم خلاصة العالم الإسلامي، أنتم رواد العالم الإسلامي وطلائعه، ساقتكم بلادكم وأسركم

إلى هذه المدينة الطيبة لتستمدوا هذه الثقة التي لا تجدونها إلا في هذه المدينة، مدينة الرسول الأمين، أو في مكة البلد الأمين، هنا مصدر الثقة، هنا مصدر الاعتزاز، هنا مصدر تعاليم التجرد من الأنانية، التجرد من الترف المدمر للأمم والحضارات، التجرد من البطر الذي حذر الله منه فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (٢٠).

ان المعسكرات المبدئية التي يحسب لها الحساب الكبير كلها كنسج العنكبوت، إذا قام فارس من فرسان الإسلام المؤمن الواعي، الداعية المخلص، المؤيد من الله يستطيع أن يأخذ عصا، ويطوي بها هذا النسيج كله، هل يقوم معسكر على غير عقيدة، على غير إيمان، على غير خشية الله، هل يقوم معسكر على غير رحمة للإنسانية، ورسالة عادلة نافعة، رحيمة بالإنسانية، هذه معسكرات زائفة، إنها اكتسبت القيمة، لأنكم أنتم فقدتم القيمة، فاستعيدوا هذه القيمة، تفقد هذه المعسكرات قيمتها وقوتها.

إن الوضع الديني، والخلقي والاجتماعي والسياسي المزري الذي يعيشه العالم اليوم، بل الانهيار الإنساني، والاحتضار المعنوي الذي يعانيه مجتمعنا المعاصر كله تفسير لقوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (٢١). لم نؤد واجبنا، ولم نقم بدورنا في تكويننا، وفي تكوين المجتمع الإسلامي المؤمن القوي النقي، فكانت فتنة في الأرض وفساد كبير، وفاقد الشيء لا يعطيه، والمريض لا يعالج المريض، والمجتمع الذي فقد حصانته الخلقية، وقوته الباطنية، وتماسكه الخلقي، وتمرده على الشهوات والسفالات، وصموده أمام المغريات النفسية، والمالية والسياسية، ولم يحمل دعوة يعتز بها، ويتحمس في القيام بها ونشرها لا يستطيع أن يحافظ على كيانه وشخصيته حتى بقائه واستمراره، فضلا عن عملية إنقاذ العالم المعاصر، والمجتمع الحاضر، من التدهور والانهيار، وما يرغب فيه ويسعى إليه من الانتحار.

وندعو الله تعالى أن يعيد إلينا إيماننا برسالتنا، ثم بدورنا ومركزنا، ويعيدنا إلى مكاننا الطبيعي والشرعي في خارطة العالم، وفي إطار الإنسانية.

الهوامش:

١ – نقلها السيد مشتاق علي الندوي الطالب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢ – آل عمران/ ١١٠.

٣ – البقرة/ ١٤٣.

٤ – الحج/ ٧٨.

٥ – التوبة/ ١١٨.

٦ – الحج/ ٢٧.

٧ – الانفال/ ٧٢.

٨ – الانفال/ ٢٦.

٩ – الانفال/ ٧٢.

١٠ – الانفال/ ٧٣.

١١ – الانفال/ ٧٣.

١٢ – الانفال/ ٧٣.

١٣ – البداية والنهاية ج ٧ ص ٦٥.

١٤ – وقد خاض المسلمون فعلا نهر دجلة بخيلهم ورجلهم فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض، وجعلوا يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ولم يعدم للمسلمين شيء من أمتعتهم غير قدح خشب لرجل فرده الموج إليه (البداية والنهاية ج ٧ ص ٦٤ – ٦٥).

١٥ – سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبد الحكم.

١٦ – الصافات/ ١٧٢.

١٧ – الصافات/ ٧٣.

١٨ – المجادلة/ ٢١.

١٩ – آل عمران/ ١٣٩.

٢٠ – القصص/ ٥٨.

٢١ – الانفال/ ٧٣.